بسم الله الرحمن الرحيم

٧٥- كتاب المرضى

١- باب ما جاءَ في كفّارةِ المرض

وقول اللهِ تعالى {مَن يعملْ سُوءاً يُجزَ بِه} /النساء:١٢٣/

٥٦٤٠- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها زوجِ النبيِّ ﷺ قالتْ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مامن مصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ إلا كَفَّرَ اللهُ بها عنهُ، حتى الشوكةِ يُشاكُها».

٥٦٤١، ٥٦٤٢- عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حُزنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ - حتى الشَّوكةِ يُشاكها - إلا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياهُ».

٥٦٤٣- عن عبدِ اللهِ بن كعبٍ عن أبيه «عن النبيِّ ﷺ قال: مَثَلُ المؤمنِ كالخامةِ من الزَّرعِ: تُفيِّؤها الريحُ مرةً، وتَعدِ لها مرة، ومَثَلُ المنافقِ كالأَرْزةِ لا تزالُ حتى يكونَ انجعافُها مرَّةً واحدةً».

٥٦٤٤- عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَثَلُ المؤمنِ كَمَثلِ الخامةِ من الزَّرعِ: من حيثُ أتتْها الريحُ كفأتها، فإذا اعتدلتْ تكفَّأُ بالبلاء. والفاجرُ كالأرزةِ صماءَ مُعتدلةً، حتى يقصِمُها اللهُ إذا شاء».

[الحديث ٥٦٤٤- طرفه في: ٧٤٦٦]

٥٦٤٥- عن أبي هريرةَ يقولُ «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَن يُرد اللهُ بهِ خيراً يُصبْ منهُ».

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب المرضى. باب ماجاء في كفارة المرض) والمعنى هنا أن ذنوب المؤمن تتغطى بما يقع له من ألم المرض.

قوله (وقول الله عز وجل[١]: من يعمل سوءاً يجز به) وقال ابن المنير: الحاصل أن المرض كما جاز أن يكون مكفراً للخطايا فكذلك يكون جزاء لها. وقال ابن بطال: ذهب أكثر أهل التأويل إلى أن معنى الآية أن المسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالمصائب التي تقع له فيها فتكون كفارة لها. والأحاديث الواردة في سبب نزول الآية لما لم تكن على شرط البخاري ذكرها ثم أورد من الأحاديث على شرطه ما يوافق ما ذهب إليه الأكثر من تأويلها، ومنه ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريق عبيد بن عمير عن عائشة «إن رجلاً تلا هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) فقال: إنا لنجزى بكل ما عملناه؟ هلكنا إذاً. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: نعم يجزى به في الدنيا من مصيبة في جسده مما يؤذيه» وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان أيضاً من حديث أبي بكر الصديق أنه قال «يا رسول الله كيف الصلاح

(١) رواية الباب واليونينية "وقول الله تعالى".

بعد هذه الآية {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به}؟ فقال: غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض، ألست تحزن؟ قال: قلت: بلى. قال: هو ما تجزون به، ولمسلم من طريق محمد بن قيس بن مخرمة عن أبي هريرة «لما نزلت {من يعمل سوءاً يجز به} بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً. فقال النبي ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة. حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

قوله (إلا كفر الله بها عنه) في رواية أحمد «إلا كان كفارة لذنبه» أي يكون ذلك عقوبة بسبب ما كان صدر منه من المعصية، ويكون ذلك سبباً لمغفرة ذنبه وفي هذا الحديث تعقب على الشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث قال: ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح، فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا. ووجه التعقب أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر، بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة، قال القرافي: المصائب كفارات جزماً سواء اقترن بها الرضا أم لا. لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل، كذا قال، والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازيه.

قوله (ولا وصب) أي مرض.

قوله (كالخامة) قال الخليل: الخامة الزرع أول ما ينبت على ساق واحد ووقع عند أحمد في حديث جابر «مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر أخرى».

قوله (تفيئها[(١)]) أي تميلها.

قوله (كالأرزة) قال الخطابي: الأرزة مفتوحة الراء واحدة الأرز وهو شجر الصنوبر فيما يقال، وقالوا: هو شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح، ويقال له الأرزن.

قوله (انجعافها) أي انقلاعها.

قوله (صماء) أي صلبة شديدة بلا تجويف.

قوله (من يرد الله به خيراً يصب منه) قال أبو عبيد الهروي: معناه يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها. وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو همّ أو نحو ذلك مما ذكر، وإن الأمراض والأوجاع والآلام - بَدَنيَّة كانت أو قلبية- تكفر ذنوب من تقع له . وسيأتي في الباب الذي بعده، من حديث ابن مسعود «ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتّ اللهُ عنه خطاياه» وظاهره تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصوا ذلك بالصَّغائر.

(١) رواية الباب "تفيؤها" واليونينية توافق الشرح.

٢- باب شدَّةِ المرضِ

٥٦٤٦- عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: ما رأيتُ أحداً أشدَّ عليه الوَجَعُ من رسولِ اللهِ ﷺ».

٥٦٤٧- عن عبدِ الله رضي اللهُ عنهُ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في مَرَضِهِ - وهو يُوعَكَ وعْكاً شديداً- وقلتُ: إنَّكَ لتُوعَكُ وعكاً شديداً، قلتُ: إنَّ ذاكَ بأنَّ لكَ أجرينِ. قال: أجَلْ، ما من مسلمٍ يُصيبُهُ أذىً إلا حاتَّ اللهُ عنهُ خطاياهُ كما تُحاتُّ وَرَقُ الشجرِ».

[الحديث ٥٦٤٧- أطرافه في: ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧]

قوله (باب شدة المرض) أي وبيان ما فيها من الفضل.

٣- باب أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ

٥٦٤٨- عن عبدِ الله قال: دَخَلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يوعَكُ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنكَ توعَكُ وعْكاً شديداً. قال: أجَلْ، إني أوعَكُ كما يوعكُ رجلانِ منكم. قلتُ: ذلك بأن لك أجرينِ . قال: أجلْ، ذلكَ كذلك، مامن مُسلمٍ يُصيبُهُ أذىً - شوكةٌ فما فوقها- إلا كفَّرَ اللهُ بها سَيِّئاتِهِ، كا تحطُّ الشجرة وَرَقها».

قوله (باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل) وصدر هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه الدارمي والنسائي في «الكبرى» وابن ماجه وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال «قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه الحديث وفيه «حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»، أخرجه الحاكم.

قوله (كما تحط) أي تلقيه منتشراً والحاصل أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر، ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها، أو المعنى: قال نعم شدة المرض ترفع الدرجات وتحط الخطيئات أيضاً حتى لا يبقى منها شيء.

٤- باب وُجوب عيادة المريض

٥٦٤٩- عن أبي موسى الأشعري قال «قَال رسولُ اللهِ ﷺ: أطعموا الجائعَ، وعُودوا المريضَ، وفُكُّوا العاني».

٥٦٥٠-عن البراءِ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «أمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بسَبعٍ ونهانا عن سبعٍ: نهانا عن خاتمِ الذّهبِ، ولبسِ الحريرِ والدِّيباجِ والإستبرقِ، وعن القَسِّي، والمثيرةِ.وأمَرَنا أن نَتبعِ الجنائزَ،ونعودَ المريضَ، ونُفْشِي السلامَ».

قوله (باب وجوب عيادة المريض) كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة ووقع في

رواية مسلم «خمس تجب للمسلم على المسلم» فذكرها منها، قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة، وجزم الداودي بالأول فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض، وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب، يعني على الأعيان ويلتحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك في العادة سبباً لوجود نشاطه وانتعاش قوته.وفي إطلاق الحديث أن العيادة لا تتقيد بوقت دون وقت، لكن جرت العادة بها في طرفي النهار ومن آدابها أن لا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض أو يشق على أهله، فإن اقتضت ذلك ضرورة فلا بأس كما في حديث جابر الذي بعده.وقد ورد في فضل العيادة أحاديث كثيرة جياد. منها عند مسلم والترمذي من حديث ثوبان «أن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة وخرفة هي الثمرة إذا نضجت.

٥- باب عيادةِ المغْمى عليهِ

٥٦٥١- عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما يقول: «مَرِضتُ مَرضاً، فأتاني النبيُّ ﷺ يَعودُني وأبو بكرٍ وهما ماشيانِ، فوجداني أغمي عليَّ، فتوضأ النبيُّ ﷺ ثمَّ صبَّ وَضوءَهُ عليَّ، فأفقْتُ فإذا النبيُّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، كيفَ أصنَعُ في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يُجبْني بشيءٍ، حتى نَزَلَتْ آيةُ الميراثِ»

قوله (باب عيادة المغمى عليه) أي الذي يصيبه غشي تتعطل معه قوته الحساسة، وقد تقدم شرح حديث جابر المذكور في كتاب الطهارة وفي تفسير سورة النساء(١).

٦- باب فضل مَن يُصرَعُ منَ الريحِ

٥٦٥٢- عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ قال: «قال لي ابن عباسٍ: ألا أُريكَ امرأةً منَ أهلِ الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ أتتِ النبيَّ ﷺ فقالتْ: إني أُصرَعُ وإني أتكشَّفُ، فادعُ اللهَ لي. قال: إن شئتِ صَبرتِ ولكِ الجنةُ، وإن شئتِ دَعوتُ اللهَ أنْ يُعافيَكِ. فقالتْ: أصبرُ. فقالتْ: إنّي أتكشَّفُ، فادعُ اللهَ لي أنْ لا أتكشَّفَ، فدعا لها».

قوله (باب فضل من يصرع من الريح) انحباس الريح قد يكون سبباً للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسة عن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من

(١) كتاب التفسير "النساء" باب / ٤ ح ٤٥٧٧ - ٣ ٥٠١.

الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذية به، والأول هو الذي يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولايعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها.

قوله (وإني أتكشّف) المراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر. وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجح وأنفع من العلاج بالعقاقير، وإن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوى وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم.

٧- باب فضلِ مَن ذَهَبَ بَصَرُهُ

٥٦٥٣- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: إنَّ اللهَ قال: إذا ابتَلَيتُ عبدي بحبيبتيهِ فَصَبَرَ عوضتُهُ منهما الجنةَ». يريد عينيه، تابعه أشعث بن جابر وأبو ظلالِ بن هلال عن أنس عن النبي ﷺ.

قوله (فصبر) زاد الترمذي في روايته عن أنس «واحتسب» والمراد أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجرداً عن ذلك، لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وإلا يصبر كما جاء في حديث سلمان «أن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً،وأن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل».

قوله (عوضته منهما الجنة) ووقع في حديث أبي أمامة فيه قيد آخر أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» بلفظ «إذا أخذت كريمتيك فصبرت عند الصدمة واحتسبت» فأشار إلى أن الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع البلاء فيفوض ويسلم، وإلا فمتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر لا يكون حصّل المقصود.

٨- باب عيادة النساء الرجالَ، وعادتْ أمُّ الدَّرداءِ رجلاً مَن أهلِ المسجدِ منَ الأنصارِ

٥٦٥٤- عن عائشةَ أنها قالتْ: «لما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ وُعكَ أبو بكرٍ وبلالٌ

رضيَ اللهُ عنهما. قالتْ: فدخَلْتُ عليهما قلتُ: يا أَبَتِ كيفَ تجدُكَ، ويا بلالُ كيفَ تجدكَ؟ قالتْ: وكان أبو بكر إذا أخَذَتهُ الحمى يقول:

كلُّ امرىءٍ مُصبَّحٌ في أهله … والموتُ أدنى من شِراكِ نَعله

وكان بلالٌ إذا أقلعتْ عنه يقول:

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً … بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهل أردنْ يوماً مياهَ مجنَّة … وهل تبدونْ لي شامةٌ وطفيلُ

قالتْ عائشة: فجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتُهُ، فقال: اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ، اللهمَّ وصحِّحْها، وبارِكْ لنا في مُدِّها وصاعها، وانقلْ حُماها فاجعلها بالجُحفةِ»

قوله (باب عيادة النساء الرجال) أي ولو كانوا أجانب بالشّرط المعتبر.

قوله (وعادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار) قال الكرماني: لأبي الدرداء زوجتان كل منهما أم الدرداء، فالكبرى اسمها خيرة صحابية، والصغرى اسمها هجيمة وهي تابعية، والظاهر أن المراد هنا الكبرى، والمسجد مسجد الرسول ﷺ بالمدينة. قلت: وما ادعى أنه الظاهر ليس كذلك، بل هي الصغرى، لأن الأثر المذكور أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» من طريق الحارث بن عبيد، وهو شامي تابعي صغير لم يلحق أم الدرداء الكبرى، فإنها ماتت في خلافة عثمان قبل موت أبي الدرداء وقد تقدم في الصلاة أن أم الدرداء كانت تجلس في الصلاة جلسة الرجل، وكانت فقيهة، وبينت هناك أنها الصغرى والصغرى عاشت إلى أواخر خلافة عبد الملك بن مروان وماتت في سنة إحدى وثمانين بعد الكبرى بنحو خمسين سنة. ثم ذكر المصنف حديث عائشة قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما» الحديث، وقد اعترض عليه بأن ذلك قبل الحجاب قطعاً. وقد تقدم أن في بعض طرقه «وذلك قبل الحجاب» وأجيب بأن ذلك لا يضره فيما ترجم له من عيادة المرأة الرجل فإنه يجوز بشرط التستر، والذي يجمع بين الأمرين ما قبل الحجاب وما بعده الأمن من الفتنة وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في أبواب الهجرة من أوائل المغازي[١].

قوله (شامة وطفيل) هما جبلان عند الجمهور، وصوب الخطابي أنهما عينان.

٩- باب عيادةِ الصِّبيانِ

٥٦٥٥- عنْ أسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ ابنةً للنبيِّ ﷺ أرسلَتْ إليهِ - وهوَ

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٦ ح ٣٩٢٦ - ٣ / ٢٤٧.

معَ النبيِّ ﷺ وسعدٌ وأبيٌّ -: نحسبُ أنَّ ابنتي قد حُضِرَتْ فأشهَدْنا. فأرسلَ إليها السلامَ ويقولُ: إنَّ للهِ ما أخذَ وما أعطى، وكلُّ شيءٍ عندَهُ مُسمًّى، فلْتحتسبْ ولْتَصبر. فأرسلتْ تُقسمُ عليه، فقامَ النبيُّ ﷺ وقمنا، فرُفِعَ الصبي في حَجرِ النبيِّ ﷺ ونفسهُ تَقعْقَعُ ففاضَتْ عينا النبيِّ ﷺ، فقالَ له سعدٌ: ما هذا يا رسولَ اللهِ؟ قال: هذهِ رحمةٌ وَضَعَها اللهُ في قلوبِ من شاءَ من عبادِهِ، ولا يَرحَمُ اللهُ من عبادِهِ إلا الرُّحَماءَ».

قوله (باب عيادة الصبيان) ذكر فيه حديث أسامة بن زيد في قصة ولد بنت النبي ﷺ، وقد تقدم شرحه مستوفى في أوائل كتاب الجنائز(١).

١٠- باب عِيادةَ الأعرابِ

٥٦٥٦- عن ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ على أعرابيٍّ يَعودُهُ، قال: وكانَ النبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ على مريضٍ يَعودهُ قال له:لا بأسَ، طَهورٌ إن شاءَ اللهُ. قالَ: قلتَ: طهورٌ؟ كلا، بل هي حُمّى تَفورُ - أو تَثورُ - على شيخٍ كبيرٍ، تُزيرُهُ القبور. فقالَ النبيُّ ﷺ: فَنَعمَ إذاً»

قوله (لا بأس) أي أن المرض يكفر الخطايا، فإن حصلت العافية فقد حصلت الفائدتان، وإلا حصل ربح التكفير. وقوله «طهور» هو خبر مبتدأ محذوف أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة، ويستفاد منه أن لفظ الطهور ليس بمعنى الطاهر فقط، وقوله «إن شاء الله» يدل على أن قوله طهور دعاء لا خبر.

قال المهلب: فائدة هذا الحديث أنه لا نقص على الإمام في عيادة مريض من رعيته ولو كان أعرابياً جافيا، ولا على العالم في عيادة الجاهل ليعلمه ويذكره بما ينفعه، ويأمره بالصبر لئلا يتسخط قدر الله فيسخط عليه، ويسليه عن ألمه بل يغبطه بسقمه، إلى غير ذلك من جبر خاطره وخاطر أهله. وفيه أنه ينبغي للمريض أن يتلقى الموعظة بالقبول، ويحسن جواب من يذكره بذلك.

١١- باب عِيادةِ المشرك

٥٦٥٧- عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّ غُلاماً ليهودَ كانَ يَخدُمُ النبيَّ ﷺ، فمَرِضَ،فأتاهُ النبيُّ ﷺ يَعودُهُ، فقال: أسلمْ، فأسلمَ».

وقال سعيدُ بن المسيَّب عن أبيهِ: «لما حُضِرَ أبو طالب جاءَهُ النبيُّ ﷺ».

قوله (باب عيادة المشرك) قال ابن بطال: إنما تشرع عيادته إذا رجى أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا، انتهى.

(١) كتاب الجنائز باب / ٧٩ ح ١٣٥٦ - ١ / ٦٨٢.

والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى، قال الماوردي: عيادة الذمي جائزة، والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوار أو قرابة، ثم ذكر المصنف حديث أنس في قصة الغلام اليهودي، وتقدم شرحها مستوفى في كتاب الجنائز.

١٢- باب إذا عادَ مريضاً فحَضَرَتِ الصلاةُ فصلّى بهم جَماعةً

٥٦٥٨- عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليه ناسٌ يعودُونهُ في مَرَضِه. فصلَّى بهم جالساً، فجعلوا يُصلونَ قِياماً، فأشارَ إليهم: أن اجْلِسُوا فلما فَرَغَ قال: إنَّ الإمامَ لِيُؤْتَمَّ بهِ، فإذا ركَعَ فاركعُوا، وإذا رَفَعَ فارفعوا، وإنْ صلى جالساً فصلُّوا جُلوساً».

قال أبوعبد الله: قال الحميدي: «هذا الحديثُ منسوخٌ، لأن النبيَّ ﷺ آخِرَ ما صلى قاعداً والناسُ خَلْفَهُ قِيام».

١٣- باب وضعُ اليدِ على المريضِ

٥٦٥٩- عن عائشةَ بنتِ سعدٍ أن أباها قال: «تَشكَّيتُ بمكةَ شكوَى شديدةً، فجاءَني النبيُّ ﷺ يَعودُني، فقلتُ: يا نبيَّ اللهِ إني أترُكُ مالاً، وإني لم أترُكْ إلا بنتاً واحدة، فأُوصي بثُلثَي مالي وأترُكُ الثلثَ؟ فقال: لا. قلتُ: فأُوصي بالنصفِ وأتركُ النصفَ؟ قال: لا. قلتُ: فأُوصي بالثلثِ وأترُكَ لها الثلثين؟ قال: الثلثُ، والثلثُ كثير. ثمَّ وضَعَ يَدَهُ على جَبهَتِه، ثمَّ مَسَحَ يَدَهُ على وَجهي وبَطني. ثمَّ قال: اللهم اشفِ سعداً، وأتمِمْ له هِجرَتَهُ. فما زِلتُ أجدُ بَردَهُ على كَبِدي فيما يُخالُ إليَّ حتى الساعةِ».

٥٦٦٠- عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ «دَخَلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ يوعَكُ وعكاً شديداً، فمسستُهُ بيدي فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنكَ توعكَ وعْكاً شديداً» فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أجَلْ، إني أوعَكُ كما يوعَكُ رجلانِ منكم. فقلتُ: ذلك أن لكَ أجرَينِ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أجَلْ.ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ: ما مِن مُسلمٍ يُصيبُهُ أذىً: مَرَضٍ فما سِواهُ، إلا حَطَّ اللهُ سَيِّئاتهِ كما تُحَطُّ الشجرةُ وَرَقَها».

قوله (باب وضع اليد على المريض) قال ابن بطال: في وضع اليد على المريض تأنيس له وتعرف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحاً. قلت: وقد يكون العائد عارفاً بالعلاج فيعرف العلة فيصف له ما يناسبه.

١٤- باب ما يُقالُ للمَريضِ، وما يُجيبُ

٥٦٦١- عن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنهُ قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ في مَرَضِه فمسستُهُ- وهو يوعكُ وعْكاً شديداً- فقلتُ: إنَّكَ لتوعَكُ وعكاً شديداً، وذلكَ أن لكَ أجْرَين. قال: أجَلْ، ومامن مُسلمٍ يُصيبُهُ أذىً إلا حاتَّتْ عنهُ خَطاياهُ، كما تُحاتُّ وَرقُ الشجرِ».

٥٦٦٢- عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ على رجلٍ يَعودُهُ فقال: لا بأسَ، طَهورٌ إن شاءَ اللهُ، فقال: كلا، بل هي حُمى تَفورُ، على شَيخٍ كبيرٍ، حتى تُزيرَهُ القبورُ، قال النبيُّ ﷺ: فنَعَم إذاً».

١٥- باب عيادةِ المريضِ راكباً، وماشياً، ورِدْفاً على الحمارِ

٥٦٦٣- عن عُروَةَ أنَّ أسامةَ بن زيدٍ أخبَرَهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ ركِبَ على حمارٍ على إكافٍ على قَطيفةٍ فَدكية، وأردَفَ أسامةَ وراءَهُ، يَعودَ سعدَ بن عبادةَ قبلَ وقعةِ بدرٍ؛ فسارَ حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبدُ اللهِ بن أبي ابنَ سلُولَ، وذلكَ قبلَ أن يُسلمَ عبدُ اللهِ، وفي المجلسِ أخلاطٌ من المسلمينَ والمشركينَ عبدةِ الأوثانِ واليهودِ، وفي المجلسِ عبدُ اللهِ بن رَواحةَ. فلما غَشيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدابةِ خَمَّرَ عبدُ اللهِ بن أبيِّ أنفَهُ بردائهِ قال: لا تغبروا علينا.فسلَّمَ النبيُّ ﷺ ووقفَ ونزَلَ فدعاهُم إلى اللهِ، فقرأَ عليهمُ القرآنَ. فقالَ له عبدُ اللهِ بن أبيِّ: يا أيها المرءُ، إنهُ لا أحسَنَ مما تقولُ إنْ كانَ حَقاً، فلا تُؤذِنا به في مجالِسنا، وارجعْ إلى رَحْلكَ فَمن جاءَكَ منا فاقصُصْ عليه. قال ابنُ رَواحةَ: بَلى يا رسولَ اللهِ، فاغشَنا بهِ في مَجالسِنا فإنا نحبُّ ذلك. فاستَبَّ المسلمونَ والمشركونَ واليهودُ حتى كادوا يَتشاوَرونَ، فلم يَزَلِ النبيُّ ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكتوا، فركبَ النبيُّ ﷺ دابَّتَهُ حتى دَخَلَ على سعدِ بنِ عبادةَ فقال له: أي سعدُ، ألم تسمعْ ما قالَ أبو حُبابٍ- يُريدُ عبدَ اللهِ بن أبيِّ- قال سعدٌ: يا رسولَ الله اعفُ عنهُ واصفَحْ، فلقد أعطاكَ اللهُ ما أعطاكَ، ولقد اجتمعَ أهل هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوه فيُعصِّبوه، فلما ردَّ ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ اللهُ شَرِقَ بذلكَ، فذلكَ الذي فَعَلَ به ما رأيتَ».

٥٦٦٤- عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال «جاءَني النبيُّ ﷺ يَعودُني ليسَ براكبِ بَغلٍ ولا بِرذُونٍ».

١٦- باب ما رُخِّصَ للمريضِ
أن يقول: إنِّي وَجِعٌ، أو وارأساهُ، أو اشتَدَّ بي الوَجَعُ

وقولِ أيوبَ عليه السلامُ {إني مَسَّنيَ الضرُّ وأنتَ أرحمَ الراحمين} /الأنبياء:٨٣/.

٥٦٦٥- عن كعبِ بنِ عُجْرَةَ رضي اللهُ عنهُ قال «مرَّ بي النبيُّ ﷺ وأنا أوقدُ تحتَ القِدرِ فقال: أيُؤذيكَ هوامُّ رأسكَ؟ قلتُ: نعمْ. فدعا الحلاقَ فحلقَهُ، ثمَّ أمرني بالفِداءِ».

٥٦٦٦- عن القاسمِ بنِ محمدٍ قال «قالتْ عائشةُ: وارأساهُ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفرَ لكِ وادعوَ لكِ. فقالتْ عائشةُ: واثُكْلياهُ، واللهِ إنِّي لأظُنُّكَ تحبُّ موتي، ولو كانَ ذلكَ لَظللتَ آخرَ يومِكَ مُعرِّساً ببعضِ أزواجِكَ. فقال النبيُّ ﷺ: بلْ أنا وارأساهُ، لقد هممتُ - أو أردتُ - أنْ أرسلَ إلى أبي بكرٍ وابنه فأعهدَ، أن يقولَ القائلونَ، أو يتمنى المتمنُّونَ، ثمَّ قلت: يأبى اللهُ ويدفعُ المؤمنونَ. أو يَدفعُ اللهُ ويأبى المؤمنونَ».

[الحديث ٥٦٦٦- طرفه في: ٧٢١٧]

٥٦٦٧- عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهوَ يوعَكُ، فمسستُهُ فقلتُ: إنكَ لتُوعكُ وَعْكاً شديداً، قال: أجَلْ، كما يوعكُ رجلانِ منكم. قال: لكَ أجرانِ؟ قال: نعم، مامن مسلمٍ يُصيبُهُ أذىً - مرضٌ فما سواهُ - إلا حَطَّ اللهُ سيِّئاتِهِ كما تُحطُّ الشجرةُ وَرَقَها».

٥٦٦٨- عن عامرِ ابنِ سعدٍ عن أبيه قال: جاءَنا رسولُ اللهِ ﷺ يَعودني من وَجعٍ اشتدَّ بي زمنَ حَجَّةِ الوداعِ. فقلت: بَلَغَ بي من الوجعِ ما ترى» وأنا ذو مال، ولا يَرِثُني إلا ابنةٌ لي، أفأتصدَّق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلتُ فالشطر؟ قال: لا. قلت: الثلث؟ قال: الثلثُ كثيرٌ، إنكَ أنْ تدَعَ ورثتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفونَ الناسَ ولن تُنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجرتَ عليها، حتى ما تجعلَ في في امرأتِكَ»

قلت: لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع رداً على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعاً، بل فيه زيادة عبادة، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم واثنى الله عليه بذلك وأثبت له اسم الصبر مع ذلك، وقد روينا في قصة أيوب في فوائد ميمونة وصححه ابن حبان والحاكم «أن أيوب لما طال بلاؤه رفضه القريب والبعيد، غير رجلين من إخوانه، فقال أحدهما لصاحبه: لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فبلغ ذلك أيوب - يعني فجزع من قوله - ودعا ربه فكشف ما به» فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر، والله أعلم. قال القرطبي: وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر، والله أعلم. وروى أحمد في «الزهد» عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه، وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم احتج بحديث عائشة في الباب، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لاشك أن اشتغاله بالذكر أولى اهـ. ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على

ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء. وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقاً.

قوله (ذاك لو كان وأنا حي) إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت، أي لو مت وأنا حي، ويرشد إليه جواب عائشة، وقد وقع مصرحاً به في رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ولفظه «ثم قال: ما ضرك لو مت قبلي فكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» وقولها «واثكلياه» أصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد، وليست حقيقته هنامرادة، بل هو كلام كان يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها. وقولها «والله إني لأظنك تحب موتي» كأنها أخذت ذلك من قوله لها «لو مت قبلي» وقولها «ولو كان ذلك» أي موتها «لظللت آخر يومك معرساً» يقال: أعرس وعرس إذا بنى على زوجته، ثم استعمل في كل جماع، والأول أشهر، فإن التعريس النزول بليل، ووقع في رواية عبيد الله «لكأني بك والله لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ» وقولها «بل أنا وارأساه» هي كلمة إضراب، والمعنى: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي، وزاد في رواية عبيد الله «ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه ﷺ».

قوله (أن أرسل إلى أبي بكر وابنه) سياق الحديث يشعر بأن ذلك كان في ابتداء مرضه ﷺ وقد استمر يصلي بهم وهو مريض ويدور على نسائه حتى عجز عن ذلك وانقطع في بيت عائشة. ويحتمل أن يكون قوله ﷺ «لقد هممت إلخ» وقع بعد المفاوضة التي وقعت بينه وبين عائشة بمدة، وإن كان ظاهر الحديث بخلافه. ويؤيد أيضاً ما في الأصل أن المقام كان مقام استمالة قلب عائشة، فكأنه يقول: كما أن الأمر يفوض لأبيك فإن ذلك يقع بحضور أخيك، هذا إن كان المراد بالعهد العهد بالخلافة، وهو ظاهر السياق كما سيأتي تقريره في كتاب الأحكام[(١)] إن شاء الله تعالى، وإن كان لغير ذلك فلعله أراد إحضار بعض محارمها حتى لو احتاج إلى قضاء حاجة أو الإرسال إلى أحد لوجد من يبادر لذلك.

قوله (فأعهد) أي أوصي، قوله (أو يتمنى المتمنون)، وفي الحديث ما طبعت عليه المرأة من الغيرة، وفيه مداعبة الرجل أهله والإفضاء إليهم بما يستره عن غيرهم، وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاك وهو راض، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان، والله أعلم.

---

(١) كتاب الأحكام باب / ٥١ ح ٧٢١٧ - ٥ / ٤٦٣.

١٧- باب قول المريض: قوموا عني

٥٦٦٩- عن عُبيد بن عبد الله بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «لما حُضِرَ رسولُ اللهِ ﷺ وفي البيتِ رجالٌ فيهم عمرُ بن الخطابِ - قال النبيُّ ﷺ: هَلُمَّ أكتبْ لكم كتاباً لا تضلوا بعدهُ. فقال: عمرُ: إنَّ النبيَّ ﷺ قد غَلَبَ عليه الوجعُ، وعندكم القرآنُ، حَسبُنا كتابُ الله. فاختلف أهل البيت، فاختصموا. منهم مَن يقولُ: قرِّبوا يكتبْ لكم النبيُّ ﷺ كتاباً لن تَضلوا بعدَهُ. ومنهم من يقولُ ما قالَ عمر، فلمَّا أكثروا اللغوَ والاختلافَ عندَ النبيِّ ﷺ قال رسولُ اللهِ ﷺ: قوموا، قال عُبيدُ الله: فكان ابنُ عباسٍ يقول: إنَّ الرَّزيةَ كلَّ الرَّزيةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَ أن يكتبَ لهم ذلكَ الكتابَ، من اختلافِهم ولَغطهم».

قوله (باب قول المريض قوموا عني) أي إذا وقع من الحاضرين عنده ما يقتضي ذلك ويؤخذ من هذا الحديث أن الأدب في العيادة أن لا يطيل العائد عند المريض حتى يضجره، وأن لا يتكلم عنده بما يزعجه، وجملة آداب العيادة عشرة أشياء، ومنها ما لا يختص بالعيادة أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدق الباب برفق، وأن لا يبهم نفسه كأن يقول: أنا ،وأن لا يحضر في وقت يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء، وأن يخفف الجلوس، وأن يغض البصر، ويقلل السؤال، وأن يظهر الرقة، وأن يخلص الدعاء، وأن يوسع للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر.

قوله (وكان ابن عباس يقول إن الرزيّة) سبق الكلام عليه في الوفاة النبوية(١).

١٨- باب مَن ذَهَبَ بالصبيِّ المريض لِيُدْعى له

٥٦٧٠- عن السائبِ يقولُ: «ذَهبتْ بي خالَتِي إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ ابنَ أختِي وجِعٌ. فمَسَحَ رأسي، ودعا لي بالبَرَكَة. ثمَّ توضَّأ فشَرِبتُ من وَضوئهِ، وقمتُ خلفَ ظهرِهِ، فنظرتُ إلى خاتمِ النَبوَّةِ بينَ كتِفَيهِ مثلَ زرِّ الحجَلَةِ».

قوله (باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له) وقد تقدم الحديث مشروحاً في الترجمة النبوية عندذكر خاتم النبوة(٢).

١٩- باب تمنِّي المريضِ الموتَ

٥٦٧١- عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال النبيُّ ﷺ: لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ من ضُرٍّ أصابهُ، فإن كانَ لابدَّ فاعلاً فلْيَقلْ: اللهمَّ أحيني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا

(١) كتاب المغازي باب / ٨٣ ح ٤٤٢٩، ٤٤٣٠ - ٣ / ٤٣٥.
(٢) كتاب المناقب باب / ٢٢ ح ٣٥٤١ - ٣ / ٩٦.

كانتِ الوفاةُ خيراً لي».

[الحديث ٥٦٧١- طرفاه في: ٦٣٥١، ٧٢٣٣]

٥٦٧٢- عن قيسِ بن أبي حازمٍ «دَخلْنا على خَبابٍ نعُودهُ -وقد اكتوى سبعَ كيَّات- فقال: إنّ أصحابَنا الذين سَلَفوا مَضوا ولم تَنقصْهم الدنيا، وإنّا أصَبنا ما لا نجدُ لهُ مَوضعاً إلا الترابَ، ولولا أنّ النبيَّ ﷺ نهانا أنْ ندعُوَ بالموتِ لدَعَوتُ به. ثمّ أتيناهُ مرّةً أخرى وهو يبني حائطاً لهُ فقال: إنّ المسلمَ لَيُؤجرُ في كل شيءٍ يُنفِقُهُ، إلا في شيءٍ يَجعلُهُ في هذا التُّرابِ»

[الحديث ٥٦٧٢- أطرافه في: ٦٣٤٩، ٦٣٥٠، ٦٤٣٠، ٦٤٣١، ٧٢٣٤]

٥٦٧٣- عن أبي هريرةَ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: لن يُدخِلَ أحداً عملُهُ الجنة. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: لا، ولا أنا،إلا أن يتغمَّدَني اللهُ بفضلٍ ورحمةٍ» فسدِّدوا وقاربوا ولا يَتمنَّينَّ أحدكم الموتَ، إمّا مُحسناً فلعلهُ أن يزدادَ خيراً، وإمّا مُسيئاً فلعلهُ أن يَستعتبَ»

٥٦٧٤- عن عبّادِ بن عبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ قال: «سمعتُ عائشةَ رضي اللهُ عنها قالتْ: سمعتُ النبيَّ ﷺ وهو مستَنِدٌ إليَّ يقول: اللهم اغفِرْ لي وارحَمني وألحِقْني بالرَّفيقِ الأعلى»

قوله(باب تمنى المريض الموت) أي هل يمنع مطلقاً أو يجوز في حالة؟

قوله (لا يتمنين أحدكم الموت من ضرّ أصابه) الخطاب للصحابة، والمراد هم ومَن بعدهم من المسلمين عموماً، وقوله «من ضرٍّ أصابه» حمله جماعة من السلف على الضرّ الدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهي، ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان «لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به في الدنيا» على أن «في» في هذا الحديث سببية، أي بسبب أمر من الدنيا، وقد فعل ذلك جماعة من الصحابة، ففي «الموطأ» عن عمر أنه قال: «اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط»، وأصرح منه في ذلك حديث معاذ الذي أخرجه أبو داود وصححه الحاكم في القول في دبر كل صلاة وفيه: «وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون»

قوله (فليقل إلخ) وهذا يدلّ على أنّ النهي عن تمنى الموت مقيد بما إذا لم يكن على هذه الصيغة، لأنّ في التمنى المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء

قوله (إن المسلم لَيؤجرُ في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب) أي الذي

يوضع في البنيان. وهو محمول على مازاد على الحاجة.

قوله (لن يُدخِل أحداً عملُه الجنة) الحديث يأتي الكلام عليه في كتاب الرقاق(١).

قوله (إمّا مُحسنًا فلعله أن يزداد خيراً وإمّا مسيئاً فلعله أن يستعتِب) أي يرجع عن موجب العتب عليه.

٢٠- باب دعاءِ العائد للمريضِ

وقالتْ عائشةُ بنتُ سعدٍ عن أبيها: «اللهمَّ اشفِ سعداً» قالهُ النبيُّ ﷺ

٥٦٧٥- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا أتى مريضاً أو أُتيَ بهِ إليه قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: أذهِبِ الباس، ربَّ الناسِ، اشفِ وأنتَ الشافي، لا شِفاءَ إلاّ شِفاؤُكَ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَماً».

[الحديث ٥٦٧٥ - أطرافه في: ٥٧٤٣، ٥٧٤٤، ٥٧٥٠]

قوله (باب دعاء العائد للمريض) أي بالشفاء ونحوه.

قوله (وقالت عائشة بنت سعد) أي ابن أبي وقاص.

قوله (لا يغادر) أي لا يترك، وفائدة التقييد بذلك أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرضٌ آخرُ يتولّد منه، فكان يدعو له بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء.

٢١- باب وُضوءِ العائدِ للمريضِ

٥٦٧٦- عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما قال «دَخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا مريضٌ، فَتوضَّأَ فصب عليَّ - أو قالَ: صبُّوا عليهِ- فعقلتُ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، لا يرِثني إلا كلالةٌ، فكيفَ الميراثُ؟ فنزلتْ آيةُ الفرائض»

قوله (باب وضوء العائد للمريض) ولا يخفى أنّ محلّه إذا كان العائد بحيث يتبرك المريض به(٢)

٢٢- باب من دعا برَفعِ الوَباءِ والحُمّى

٥٦٧٧- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أنّها قالتْ «لما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ وَعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ. قالتْ: فدخلتُ عليهما، فقلتُ: يا أبتِ كيفَ تجدُكَ؟ ويا بلالُ وكيفَ تجدكَ؟ قالتْ: وكان أبو بكرٍ إذا أخذَتْهُ الحُمّى يقولُ:

كلُّ امرىءٍ مصبَّحٌ في أهلهِ ... والموتُ أدنى من شِراكِ نَعلهِ

(١) كتاب الرقاق باب / ٨ ح ٦٤٦٣ - ٥ / ١٠
(٢) وهذا التبرك لا يكون إلا برسول الله ﷺ.

وكان بلالٌ إذا أقلعَ عنهُ يَرفعُ عَقِيرتَهُ فيقول:

ألا لَيتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بوادٍ، وحَولي إذخِرٌ وجَليلُ
وهل أرِدَن يوماً مِياهَ مَجنَّةٍ ... وهل تَبدوَنْ لي شامةٌ وطَفيلُ

قال: قالتْ عائشةُ: فجئتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتُهُ فقال: اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبنا مكةَ أو أشدَّ، وصححها وباركْ لنا في صاعها ومُدِّها، وانقلْ حُماها فاجعلْها بالجُحْفَة»

قوله (باب الدعاء برفع الوباء والحمى) قد استشكل بعض الناس الدعاء برفع الوباء لأنه يتضمن الدعاء برفع الموت والموت حتم مقضى فيكون ذلك عبثاً، وأجيب بأنَّ ذلك لا ينافي التعبد بالدعاء لأنه قد يكون من جملة الأسباب في طول العمر أو رفع المرض، وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وسَيِّءِ الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير، ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة تردّ عليهم، وفي الإلتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره، لما فيه من الخضوع والتذلل للربّ سبحانه، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتّكالاً على ما قُدِّر، فيلزم ترك العمل جملة، ورد البلاء بالدعاء كردّ السهم بالترس، وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يتترّس مِن رمي السهم والله أعلم.